فوق الحياة!!

الى القطار الآدمية السائحة في الفلك

إني احترقتُ ولم تدعْ أشلائي نيرانُ تلك الحسرة الحمراء
قد أوغلتْ بي نزعةٌ مدفوعةٌ نحو الكمال ، تمدُّ في برحائي
إذ أن ما يسبي قلوبَ الناس لا ألقاه حتى في ذيول سمائي

***

أقبلتُ ملء دمي على الدنيا وفي قلبي حياةٌ جمة الأهواء
وطرحتُ أعوامي عليها غادياً متنقلاً في الزرع والصحراء
ونزعتُ عني كلَّ معنىً كاذب ونشدتُ وجهَ النور في الظلماء
وتأملتْ روحي أساريرَ الدجى وتغلغلتْ في ذاته السرداء
واذا الرياح تقول لي في نصحها : «قفْ أيها الساري الى التيهاء!
مَنْ لم تشقْهُ الارضُ وهو مكبَّلٌ نبذتهُ عنها عبرةَ الاحياء
تلك السدودُ أقامها فوق الثرى ربُّ الوجود وضاربُ الجوزاء»
قلتُ : «ها عدلي يارياح ما أنا مسرفٌ متطلبٌ في السحر دفقةَ ماء!»
وطفقتُ أخبط في الظلام منقباً عما وراء الليل من أضياء
حتى بدا لي خلف أحجار الدجى نهرٌ يعجُّ بأعذب الأضواء
ونهلتُ منهُ فاكتملتُ كأنني أصبحتُ أسمى من بني حواء

وتألقت من حوله لي جنةٌ عفويةٌ مطلولةُ الأرجاء
هي ظلُّ المثل الرفيعة عاشها «فوق الحياة» تدقُّ الإيحاء
أظلالها فوق الربوع مديدةٌ ونسيمها متعطرُ الأحناء
ومليورُها ذهبيةٌ مسحورةٌ تشدو فيهزُّ الفضاء إزائي

•••

وأخذتُ أرشدُ من أحب الى السنى ومآبه ، والقبلة البيضاء
والحق ، والطير الذي يغني على ربوات تلك الجنة الغناء
لكنهم ضجت بهم أرواحهم فتأى الى الأوحال والأنواء!
عادوا . . وفي ألبابهم لي لعنةٌ مكنونةٌ كالسمّ في الرقطاء
قالوا : « لقد عشنا على الدنيا كما شئنا وشاءت رقتُه الأحياء
مستعذبين قيودنا لا تنحلي عنا كما يُهوى هذه الظلماء
تلك الحواجزُ لا تحبُّ عبورَها نحو الذي تخشاه من أجواء
يا أيها المجنونُ ! إنك شاعرٌ يقنات من أوهامه الحسناء
إذهب ! فلا كانت لك الدنيا وعشْ في برجك الملوء بالخيلاء »
لكنني ناديتُ من عنيائي مستعصماً بالذروة القعساء :
«البرق يكسبني التماعاً ، إنني أفقٌ . . فضجوا في رحاب فضائي!
والنارُ تمنحني حياةً ، إنني ذهبٌ . . فبثوا النار في أحشائي ! »

عبد الرحمن الخميسي